الصفحات: من 129 إلى 144

الزوايا في الأنثروبولوجيا السياسية المغاربية
عرض حال

يحي بن يمينة
مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية وهران

تاريخ الاستقبال: 2017/02/05 - تاريخ المراجعة: 2017/05/22 تاريخ النشر: 2017/06/25

ملخص:

لم تنقطع مسالة العلاقة بين المقدس و السياسي تشغل اهتمام الباحثين في مجال الأنثروبولوجيا السياسية في جميع المجتمعات عبر العالم. في حالة البلدان المغاربية ، تقدم الزوايا كأحد المداخل المهمة لمقاربة هذه العلاقة ، خاصة و انها تعتبر كمكون اصيل ساهم في السيرورة التاريخية– الاجتماعية لتشكل هذه المجتمعات. تحاول هذه المقالة تقديم حوصلة عن اهم اعمال الأنثروبولوجيا السياسية التي تمت في هذا المجال. سنركز بصفة خاصة على تقديم اهم المواضيع التي تناولتها ، المقاربات و المناهج المستعملة ، و في الاخير اهم الملاحظات المنهجية التي تم الوصول اليها.

كلمات مفتاحية : المقدس ، السياسي ، الزوايا ، المجتمعات المغاربية ، الانثروبولوجيا السياسية.

Résumé :

La relation entre le sacré et le politique ne cesse pas de préoccuper les anthropologues de politique à travers le monde. Dans le cas du Maghreb' la zaouïa se considère l'une des entrées les plus favorables pour rapprocher cette relation' surtout que celle–ci est une composante socio–historique original dans le processus de la formation historique de ces sociétés. Le but de cet article est de présenter une synthèse sur les travaux de l'anthropologie politique qui ont faite sur ce sujet. On va focaliser notamment sur les questions abordées' les approches et les méthodes utilisées' et enfin les principaux tendances méthodologique qu'on a notées.

Mots clés : sacré' politique' zaouïas' Maghreb' Anthropologie.

مقدمة:

اذا كان المقدس احد الركائز الاساسية التي بني عليها البحث في حقل الأنثروبولوجيا السياسية (جورج بالانديه، 2007،ص.128) ، فكيف يمكن ان يساعد ذلك في معرفة حالة التفكير التي وصل اليها البحث في هذا الحقل ؟ و خصوصا اذا ما طرح هذا السؤال ضمن سياق مجتمع مغاربي يشكل فيه الديني موضوعا ساخنا ، بل و محورا للوجود و رهانا سياسيا ظل محلا لمجادلات و مواجهات حية ما فتات تتصاعد يوما بعد يوم (محمد ابراهيم الصالحي،2014، ص.ص.326-325 ، Ahmed Ben Naoum'2000'p.p.1-5).

تحاول هذه المقالة المساهمة في هذا النقاش من خلال عرض حوصلة معرفية اولية حول الزوايا التي تعتبر هنا كأحد المداخل الممكنة للتساؤل حول هذا الموضوع في المجتمعات المغاربية. ننوه هنا بان النقاش حول موضوع الزوايا في المنطقة قد لقي اقبالا كبيرا ، بحيث تعددت طرائق البحث فيه كما تنوعت النتائج و المعارف حوله ، و لكن من دون ان يؤدي ذلك الى بناء نظرية متكاملة الجوانب.

و لذا ، فإننا سنقتصر فقط على اولئك الباحثين الذين حملوا في طيات دراستهم توجهات و مشاريع نظرية ، و خلفوا وراءهم تراثا نظريا و عمليا ظل مرجعا او محلا للنقد ، كما اننا لن نسعى الى تقديم حصيلة شاملة و وافية حول كل ما كتب عن الزوايا في المنطقة لان ذلك يتطلب وقتا و مجهودا اكبر ، و انما نريد فقط الوقوف على بعض العناصر الاساسية التي يمكن ان تزودنا بفكرة عامة و رؤية تقريبية حول الحالة التي وصل اليها البحث الأنثروبولوجي في هذا الموضوع.

عموما ، و تسهيلا لعرض محتويات مادتنا ، سنقسم المقالة الى ثلاثة محاور اساسية. يهتم المحور الاول بالبحث في الظروف و السياقات التي ادت الى البحث في انتاج معرفة حول الزوايا ، اما المحور الثاني فيتناول الإشكاليات الاساسية التي درست ضمنها الزوايا . بالنسبة للمحور الاخير ، فهو يضم بعض المقاربات و الملاحظات العامة.

I. السياقات و التطور.

لم تخرج دراسة الزوايا في الأنثروبولوجيا السياسية المغاربية عن السياق العام الذي حكم تطور حقل الأنثروبولوجيا في هذه البلدان. فمن الأنثروبولوجيا العفوية الما قبل الاستعمارية التي بلور اسسها مجموعة من الرحالة و المستكشفين و ايضا بعض المفكرين ، الى الأنثروبولوجيا الاستعمارية التي بدأت عسكرية ثم انتهت علمية ، و انتهاء بأنثروبولوجيا وطنية حاولت ان تبلور مجموعة من الاشكاليات و التوجهات المحلية.

1. الزوايا في الأنثروبولوجيا ما قبل الاستعمارية:

يمكن رصد ثلاثة انواع من المصادر خلال هذه الحقبة. الاولى تجد جذورها في تلك الكتابات التي تركها الرحالة و المتحدثون الاوائل . فقد اورد مثلا كتاب الرحالة ابن بطوطة في كتابه تحفة النظار في غرائب الامصار و الاسفار العديد من الاخبار عن شيوخ بعض الزوايا و ذكر الكثير من الكرامات التي تميزوا بها و كذا عن علاقتهم بالسلاطين و اوضاعهم في المجتمع. ظل هذا النوع من الكتابات مصدرا غنيا للمعلومات الانثروبولوجية عن

الزوايا لكن دون ان يرقى الى درجة العلمية لافتقاره التأطير النظري و المنهجي المناسب.

النوع الثاني يكمن في الدراسة التي قام بها عبد الرحمن ابن خلدون خلال القرن الرابع عشر و التي يمكن اعتبارها اول عمل منهجي منظم قدم نظرة متكاملة عن علاقة الزاوية بالسلطة السياسية في الدول المغاربية. ففي خضم بحثه عن اسباب بروز و افول الدول في المنطقة ، اعتبر – الى جانب العصبية– ان الدعوة الدينية ، شيء ضروري لقيام السياسي ، لان « الملك لا يحصل إلا بصبغة دينية من نبوة او ولاية او اثر عظيم من الدين على الجملة ، كما اعتبر ان الدول العامة الاستيلاء العظيمة الملك اصلها الدين اما نبوة او دعوة حق ، و ان الدعوة الدينية تزيد الدولة في اصلها قوة على قوة العصبية» (عبد الرحمن ابن خلدون: 2004، ص.ص –313 314)، هذا بالإضافة الى تخصيصه لفصل كامل حول التصوف و وصفه لأخلاق المريد و علاقته مع شيخه.

يشمل النوع الاخير المصادر التاريخية التي اهتمت بنشأة الزوايا و التصوف في منطقة المغارب. تعود اغلب هذه الدراسات الى مرحلة الفتح الاسلامي و ما احدثته من تحولات راديكالية في المنطقة ، حيث اعتبرت الزوايا خلال هذه المرحلة امتدادا لتجربة الاسلام الصوفي الذي ظهر في المشرق الاسلامي ، ثم انتقل الى المنطقة المغاربية التي وجد فيها مناخا اجتماعيا و سياسيا ملائما للازدهار و التطور.فقد كانت هذه المنطقة من جهة بعيدة عن مركز السلطة و الحاضرة الاسلامية و ما يتخللها من صراعات و رقابة سياسية ، و من جهة اخرى كانت بحاجة الى نوع خاص من الاسلام يسمح لها بالحفاظ على كيانها المحلي (الذي يتميز بالقبلية و العصبية) من دون ان يفقدها ذلك صلتها بالعالم الاسلامي و نسق ثقافته و سلطته المعمول بها في الحواضر الاسلامية الكبرى (اسلام الفقهاء). هنا ، شكلت الزاوية الاطار التنظيمي و المؤسساتي لهذه المجتمعات و حلقة الوصل مع العالم الاسلامي (سردوك رشيدة: 2016، ص.43).

2. الزوايا في الأنثروبولوجيا الاستعمارية :

ما تجدر الاشارة اليه في البداية هو صعوبة التصنيف الزمني للأعمال التي تمت حول الزوايا ضمن هذه الحقبة الزمنية نظرا لاختلاف تواريخ استعمار بلدان المغارب ، لكن المتفق عليه هو ان هذه الدراسات تمت على مرحلتين. بالنسبة للمرحلة الاولى فقد كانت استكشافية ، قادها مجموعة من الضباط العسكريون و موظفو الادارة الاستعمارية و حتى بعض رجال الدين المسيحيون ، و غلب عليها الطابع المونوغرافي[1] الذي خص بعض الزوايا ، كما انها تميزت بصعوبة الحصول على المعلومات الاثنوغرافية نظرا لتوتر الاوضاع بسبب الاستعمار و المقاومات المحلية.

لوحظ على النوع الاول بصورة عامة انه ركز على الجانب التنظيمي بدل التركيز على الافراد المنتمين الى هذا التنظيم ، و هذا راجع اساسا الى التصاق صورة الجهاد و الحرب بالزوايا التي حاربت الاستعمار ، و هذا ما ادى الى اكتساب الكثير من المعلومات حول المذاهب و الطقوس و الشعائر ، و لكن القليل جدا من المعنى الذي منحه المريدون الى هذه الممارسات و الطقوس. و بالانشغال بالخطر الذي كانت تشكله الزوايا ، خاصة في التعبئة للجهاد ، فان الادارة الاستعمارية ركزت اهتمامها على ادوارها السياسية و لم تهتم إلا بصورة ثانوية بدورها الديني و

السوسيو–تربوي(Sossie Andezian : 2001’ p.p.24–25) .

اما النوع الثاني فهو علمي قام به مختصون في الاثنولوجيا و الأنثروبولوجيا[2]، و سعى الى تأسيس او نقل مقاربات نظرية و بناء ترسانة مفاهيمية و منهجية لفهم الزوايا ضمن النسق السياسي للمجتمعات المغاربية. ما لوحظ على هذا النوع من الدراسات انه كانت محل اهتمام كل من الأنثروبولوجيا الفرنسية و الانجلوساكسونية ، كما انه صدر تقريبا قبيل استقلال البلدان المغاربية . و يعود سبب ذلك في نظر العديد من الباحثين الى الرغبة في التخلص من الصورة السيئة التي خلفتها الأنثروبولوجيا الاستعمارية بصورة عامة في المنطقة ، و ايضا التهيئة لخلق مكانة ابستيمولوجية جديدة للمعارف و المعلومات الموروثة عن هذا العهد في كنف الدول الوطنية الناشئة (Lahouari Addi : 2003’ p.p.13–14).

3. الزوايا في الأنثروبولوجيا الوطنية :

حكمت الدراسة الانثروبولوجية لعلاقة الزاوية بالسلطة السياسية في الدول المغاربية بعد الاستقلال اربعة رهانات اساسية . يتمثل الرهان الاول في كيفية التعامل مع ذلك الرصيد المعرفي الذي خلفه الاستعمار حول الزوايا و الأنثروبولوجيا بصفة عامة. هنا يمكن رصد اتجاهين اساسيين و هما : الاول يسعى الى اقامة قطيعة مع المعارف الاستعمارية و يقترح مقاربة محلية تقوم على الصلة و التواصل بين السلطة المركزية و الزاوية. هنا يمكن ذكر الدراسة التي قام بها عبد العروي حول الاصول الاجتماعية و الثقافية للوطنية المغربية بين 1830–1912 (1977) كنموذج عن ذلك.

اما الاتجاه الثاني فيرى في الأنثروبولوجيا الاستعمارية مصدرا اكثر علمية لا يمكن تجاوزه او نكرانه نظرا لتوفره على اطر نظرية و مفاهيمية و معارف امبريقية حول الأنثروبولوجيا بصفة عامة و من ضمنها الزوايا ايضا. و يمكن ذكر هنا مثلا عمل نذير معروف حول أي مستقبل للأنثروبولوجيا في الجزائر (2002) و عبد الله حمودي حول إعادة صياغة الأنثروبولوجيا (2010) و كذا حسن رشيق في عمله حول القريب و البعيد : مئة عام من الأنثروبولوجيا في المغرب (2012) كنماذج عن هذا الاتجاه.

بالنسبة للرهان الثاني فيتمثل في مشروع الحداثة الذي تبنته الدول الوطنية الناشئة ، و الذي ادى الى اقصاء الدين الشعبي و تنظيماته من ساحة الاهتمام السياسي و الاكاديمي ايضا ، و هذا لصالح مقاربات اكثر حداثة للإسلام (الاتجاه الاصلاحي او ما يطلق عليهم ب les réformistes) و دوره في تجديد الخطاب الديني بما يلائم التغيرات و المشاريع التي حملتها الدول الوطنية. (Mohamed Ibrahim Salhi’ 2000’ p.p.44–52)

اما الرهان الثالث فيدور حول تحقيق الاستقرار السياسي و الاجتماعي. فقد ادت الاحداث التي عرفتها العديد من البلدان المغاربية ، خاصة الاضطرابات و موجات العنف السياسي و ايضا صعود حركات الاسلام السياسي الراديكالي ، الى تبني استراتيجية جديدة اتجاه الزوايا تمثلت في اعادة الاحياء و البعث و التمكين كجزء هام

من سيرورة اعادة الاعتبار لدور التقليد و التقليدانية في تحقيق التوازن الاجتماعي، و هذا ما ادى الى عودة الاهتمام الاكاديمي بها و بدورها في الحياة السياسية (امل بوبكير:2012، ص.ص.105-104، رحمة بورقية: 1991،ص.162).

بالنسبة للرهان الاخير ، فيلاحظ ان الاهتمامات الاجنبية (خاصة الانجلوساكسونية و الفرنسية) بالمجتمعات المغاربية لم تنقطع بعد الاستقلال بل تزايدت ، خاصة في المغرب. و يمكن الاشارة هنا الى الدراسة التي قام بها Ernest Gellner حول صلحاء الاطلس (1969) و ايضا Clifford Geertz حول الاسلام ملاحظا (1968) التي تعد من بين الدراسات التي تركت اثرا كبيرا ليس في حقل الأنثروبولوجيا المغاربية فقط و انما حتى على الكثير من الانثروبولوجيين المحليين ايضا.

II. المواضيع و الاشكاليات:

تعتبر مسالة العلاقة بين الدولة و المجتمع الاشكالية الكبرى التي انضوت تحتها مختلف دراسات الأنثروبولوجيا السياسية في المجتمعات المغاربية ، سواء في المرحلة الما قبل الكولونيالية او خلالها او بعد الاستقلال. هنا شكلت الزوايا احد المداخل المثمرة لصياغة عدة فروض حول هذه العلاقة و طبيعة التفاعلات بين المركز و الاطراف ، و نتج عنها مجموعة كبيرة من الدراسات و المواضيع.

يمكن تجميع الاعمال التي تمت حول الدور السياسي للزوايا تحت ثلاثة اشكاليات اساسية و هي : مشكلة الانقسام و الصراع بين السلطة المركزية و الاطراف ، مشكلة الاندماج و الاستمرارية بين المركز و الاطراف ، اما الاشكالية الاخير فتؤكد على الطبيعة الجدلية و الدينامية للزاوية في علاقتها بالمركز و بالأطراف.

1. اشكالية الانقسام و تكريس النظرة الكولونيالية :

تعتبر مسالة الانقسامية (او مجتمع اللادولة)[3] من بين الاشكاليات الاولى و الشائعة التي تمت الاشارة اليها من قبل دارسي الأنثروبولوجيا السياسية في المجتمعات المغاربية ، و تعد دراسة صلحاء الاطلس (1969) التي قام بها Ernest Gellner حول زاوية احنصال بمنطقة الاطلس الكبير بالمغرب تتويجا لهذا الاتجاه (الذي اطلق عليه وصف كولونيالي)[4] و نموذجا مفضلا للعديد من الدراسات التي تتبنى هذا الطرح في هذه المجتمعات.

تشير هذه الاطروحة بصورة عامة الى ان دور الزوايا يظهر في ظل نظام سياسي يتميز بغياب او ضعف السلطة المركزية و يكون معرضا الى الفوضى و نشوب النزاعات بسبب الطبيعة الانقسامية التي تميز بنيته الاجتماعية التي وصفت بالقبلية. هنا تظهر مسالتان اساسيتان و هما علاقة الزاوية بالسلطة المركزية من جهة و علاقتها مع الاطراف (القبيلة) من جهة اخرى.

بالنسبة للمسالة الاولى ، تنشا سلطة الزاوية انطلاقا من التناقض و الصراع الحاصل بين المركز و الاطراف، حيث يبرز الدور السياسي للزاوية في اللحظة التي يفقد فيها المجتمع ثقته بسلطة مركزية غير قادرة على توفير الامن و العدالة له.و من هذا المنظور ، لا تصبح الزاوية نفسها هي المركز و انما توجد دائما بموازاته و تنافسه في سلطته. و

لعل ازمة انهيار السلطة المركزية التي عاشتها المجتمعات المغاربية خلال القرن 16 و 17 م (خاصة بعد الهجومات الاسبانية و البرتغالية و قدوم العثمانيين الى المنطقة و بروز الزوايا كتنظيمات دينية و شعبية للتعبئة و الجهاد و التعليم) تعتبر افضل مثال عن ذلك (محمد ضريف: 1992، ص.73).

اما المسالة الثانية ، فهي تتعلق بعلاقة الزاوية بالقبيلة . هنا ، يرى Gellner ان الزاوية كيان منفصل عن القبيلة لأنها – بحكم مسالمة شيخها و نسبه الشريف و وجودها على الاطراف – تكون خارج دائرة الصراع الاجتماعي الذي يحدث داخل القبيلة او فيما بين القبائل او بينها و بين المركز ، و من هنا تنبع سلطتها السياسية المتمثلة في امداد القبيلة بالاستمرارية و الهيكل القار الذي يفتقر اليه النظام السياسي الانقسامي.

فعلى مستوى البنية السوسيو–محلية ، يوفر الصلحاء القاعدة المؤسساتية و الاطار الاخلاقي الذي يجري فيه انتخاب رئيس القبيلة، كما انهم يقومون بدور التحكيم و الوساطة و الفصل في قضايا الاجرام و التنازع. هذا اضافة الى الجهاد باعتبارهم موجودون على تخوم القبائل ، و هذا يسمح لهم ايضا بإرساء المعاهدات و تسهيل المبادلات التجارية و مرافقة الغرباء الى القبائل. اما على نطاق اوسع ، فيتمثل دور الصلحاء في ادماج المجتمع المحلي داخل النسق الاسلامي العام و الشامل، حيث ان جميع الاولياء اشراف في المعتقد المحلي ، و يعني ذلك انهم ينحدرون من ذرية النبي عليه الصلاة و السلام مما يبرر الانتماء الى الهوية الاسلامية العامة و لو مورست بشكل مختلف على المستوى المحلي (ارنست غيلنر: 2007، ص.ص.59–50).

ما يلاحظ على الاطروحة الانقسامية انها لاقت سهولة اكبر للتطبيق في بقية المجتمعات المغاربية اكثر من المغرب ، و هذا راجع في الاساس الى غياب النقاشات او تقديم اطروحات مغايرة و منافسة مثلما حدث في المغرب. ففي المغرب ، خلقت الاطروحة الانقسامية اما مقاربات نظرية معارضة او منافسة فرنسية و انجليزية ، او استعملت و لكن مع تعديل او بتحفظ ، او انتقدت من خلال حقائق امبريقية. تغيب مثل هذه المسائل في الأنثروبولوجيا السياسية في بقية المجتمعات المغاربية (Zekeria Ould Ahmed Salem :2003’ p.p57–81 et Hugh Roberts : 2003’ p.p.40–41).

نشير في الاخير الى ان هذه الاطروحة تعرضت للكثير من اوجه النقد ، سواء من ناحية النموذج العام للتحليل او من ناحية العلاقات الداخلية للمجتمع القبلي. ما يهمنا هنا هو بعض الملاحظات التي قدمت حول دور الزوايا السياسي ، اذ لوحظ ان هذا الدور الذي اعطي لها يتميز بالتعميم و لا يأخذ العديد من الحالات العينية التي لم تلعب فيها الزوايا مثل هذه الادوار .فقد سجل مثلا عبد الكبير الخطيبي العديد من الحالات التي فشل فيها نظام الوساطة و التحكيم ، كما اشار Robert Montagne الى حالات استولى فيها الاولياء على اراضي خصبة و كونوا دويلات داخل القبائل ، بينما نوه عبد الله حمودي الى غموض العلاقة بين الزاوية و القبيلة من جهة ، و بين الزاوية و المركز من جهة اخرى (ليليا بنسالم: 2007، ص.ص 38–29).

2. اشكالية الاندماج و تكريس النظرة الوطنية :

ينكر هذا الطرح الطبيعة الانقسامية التي تميز المجتمعات المغاربية و يكرس بدله مبدأ الاتصال بدل الانفصال و التوافق بدل الصراع بين المركز و الاطراف ، كما يعتبر المجال السياسي المغاربي ضمن هذا الطرح كخط متصل يقوم على تراتبية سياسية معينة تمتد من الدولة الى الزاوية او العكس ، مع ما يعنيه ذلك من اندماج و انسجام تامين بين مكونات هذا المجال، و قد انتشر هذا التصور يستند بصورة اساسية بعد الاستقلال و خلال فترة بناء الدول الوطنية.

يمكن تقديم عمل عبد اللّه العروي في دراسته عن الاصول الاجتماعية و الثقافية للوطنية المغربية بين 1830– 1912 (1977) ، و ايضا عمل عبد اللّه حمودي حول الشيخ و المريد (2010) و نور الدين الزاهي في الزاوية و الحزب (2011) كنماذج لهذا الطرح.

يرى عبد اللّه العروي ان الزاوية تشكل عنصرا اساسيا في اللعبة السياسية للسلطة المركزية ، و يتم هذا من خلال استغلال نمط تنظيم الزاوية و انتشاره في المجال الاجتماعي . فالزاوية تتراتب اجتماعيا على ثلاثة مستويات و هي : المستوى الادنى المرابطي المتجسد في شخص واحد لا يمتع بأية هيكلة ، مستوى متوسط و هو الزاوية عندما تتموضع في مكان استراتيجي و تصبح محل للدعاية و التجمعات و التعليم و الايواء ، و في الاخير المستوى الاعلى و هو الطريقة التي تجمع عدد كبير من الزوايا المنتشرة في مناطق مختلفة تحت سلطة شيخ واحد يعتبر كمؤسس و صاحب الطريقة.

انطلاقا من هذه التراتبية ، يرى العروي ان الزاوية تستغل من قبل المركز لإدارة الشؤون المحلية و الجهوية، و يشمل هذا الاستغلال بصورة خاصة الطريقة التي تعتبر كمركز اداري و اجتماعي واسع الانتشار في المجال الاجتماعي ، فيقوم المركز في هذه الحالة بتفويض جزء من سلطته لها و اعطائها مزايا و تنازلات كالاعتراف بها و توقير شيخها و احترامه و اعفاء الزاوية من الضرائب و اشراف السلطان على تنصيب شيخ الزاوية و منحها اقطاعات، و تصل الذروة بتبني السلطان طريقة الزاوية.

في هذه الحالة تدخل الزاوية في تراتبية معينة تجمع بين الدمج العمودي و الافقي للمجتمع. فهي من ناحية تمثل السيد على المستوى المحلي بنفس الطريقة التي يمثل فيها السلطان الدولة على المستوى المركزي، بل و تلعب نفس الادوار في صيرورة التوحيد العمودي و الرمزي للمجتمع المحلي. من ناحية اخرى ، عندما تسيطر طريقة ما على منطقة معينة فان ذلك يقود الى توحيد افقي لجميع الزوايا و الشخصيات الدينية المنضوية تحت رايتها ، و هو ما يمكن السلطة المركزية من ادماجها في نسق سلطتها (Abdallah ’1977’ p.p.150–154) .Laroui

اما عبد اللّه حمودي ، فقد حاول معرفة انتشار الانظمة السلطوية في البلدان العربية و المغاربية ، و فسر ذلك بنموذج العلاقة التي تميز الشيخ و المريد في الزاوية . فحتى يبلغ المريد مرحلة الولاية لابد عليه ان يتنصل من كل ما هو مادي ، و يتطلب هذا تبعية تامة لشيخ الزاوية ، و هنا فقط يبدأ المريد بإرث سر شيخه و ولايته ، ثم

يعيد إنتاج نمط حياة الشيخ و سلوكه إزاء نفسه و الاخرين .و هو نفس الشيء الذي يلاحظ في الحقل السياسي المغاربي و العربي، حيث تحكم علاقة الحاكم و المحكوم ثلاثية الهبة و الخدمة و التقرب من الحاكم ، و يتم ذلك من خلال وسطاء محليون يعتبرون حلقة الوصل بين الرعية و الحاكم. فهؤلاء يقومون بالتقرب من الحاكم و خدمته ثم يأخذون منه الهبة مقابل تبعية مطلقة ، و لكنهم يعيدون انتاج نفس العلاقات مع محيطهم المحلي الذي ينتمون اليه (عبد الله حمودي: 2010 ، ص.ص100-75).

من جهته، يعتبر نور الدين الزاهي الظاهرة الحزبية في المغرب امتدادا لتلك الانساق الثقافية و المعيارية التي رسختها الزوايا طلية قرون طويلة ، فقد بين كيف ان الحزب السياسي بالمغرب لم يخرج عن اطار ما رسخته الزوايا طيلة قرون من قيم الشرف و البركة و سلوكيات تقديس الاحترام سواء داخل العلاقات الاجتماعية او داخل بناها ، كما قدم العديد من التصورات حول دار الاسلام و دار الكفر و عن الذات و الاخر و طرق تنظيم الفرد و الجماعة التي تشبه كثيرا تلك الموجودة في الزاوية (نور الدين الزاهي: 2011 ص.ص.8-5).

3. الطبيعة الدينامية للزاوية و محاولة البحث عن النظرة التوافقية :

يأخذ هذا الطرح موقفا مغايرا عن المواقف السابقة و يرى ان الزاوية ليست تابعة لا للمركز (الدولة) و لا للأطراف (القبيلة)، و انما هي تنظيم مستقل بذاته يشكل محور التقاء بينهم، و هذا راجع اساسا الى ان شيخ الزاوية لا يستمد سلطته من الأعراف القبلية أو القانون العرفي كما هو الشأن بالنسبة لشيخ القبيلة كما يرى ذلك الطرح الكولونيالي ، و بالمقابل أيضا ، فإن أساس سلطة الشيخ ليس السلطة المركزية كما يوحي بذلك الطرح الوطني. لقد حاول هذا التصور البحث عن نظرة توافقية تجمع بين ذلك الارث العلمي و المعرفي الاستعماري و ايضا متطلبات قيام نظرة أنثروبولوجيا وطنية (محمد جحاح: 2001).

تنبع سلطة الزاوية ضمن هذا التصور من كونها تنظيم مستقل قائم بذاته ، له بناء و اهداف و عقلانية خاصة ، كما انه يحوي على هيكل تنظيمي و تراتبية معينة و تحكمه علاقات سلطة سواء داخله او مع محيطه ، هذا اضافة الى ارتكاز سلطتها على عناصر ثلاث و هي : المرجعية الصلحاوية maraboutisme و المرجعية الطرقية confrérisme و المرجعية الشرفاوية chérifisme (محمد ضريف: 1992، ص.ص.42-33).

بفعل هذه العناصر ، ستكتسب الزاوية خاصيتين. الاولى هي تملك شيخ الزاوية او الولي الصالح لراس مال رمزي يتكون من العلم، الأمن، الرخاء، الاستقرار، الحماية، و سبل الخلاص المادي و الروحي، هذا اضافة الى الكرامات او الخوارق التي يذهل بها اتباعه و اعداءه ، و ما يترتب عنها من نفوذ سياسي عليهم.

و يمكن القول هنا الى ان اصل هذا الاتجاه في الأنثروبولوجيا المغاربية يعود الى مفهوم راس المال الرمزي التي طوره Pierre Bourdieu في كتابه سوسيولوجيا الجزائر (1958) ، حيث لم يهتم هذا الاخير بالظاهرة الدينية بالتحديد عندما درس المجتمع القبائلي الجزائري ، و لكنه بحث عن الاستعدادات التي توجه استراتيجيات الفاعلين الاجتماعيين ، و يبدوا ان الدراسات التي تمت في الحقل الديني و الزوايا بعد ذلك قد

استعارت هذا المفهوم منه (Lahouari Addi : 2003’ 143–157)

اما المسالة الثانية فهي تحول الشيخ الى فاعل سياسي مستقل يطبق استراتيجيات معينة. فالزاوية لا تقيم تحالفا مع السلطة المركزية او مع القبيلة إلا اذا كان ذلك يخدم مصالحها و وفق ما تقدمه قراءاتها للمعطيات الميدانية (السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية) ، و من هنا تتحول من جهة الى فاعل سياسي له استراتيجياته الخاصة و يحاول دائما ان يوسع من هامش حريته باستغلال الفرص ، كما انه يتفاوض مع جميع الاطراف من اجل امتلاك المزيد من النفوذ و السلطة ، و من جهة اخرى تشكل نقطة التقاء و محور تواصل يلتقي فيه المحلي بالمركزي (محمد حجي: 1964، ص.ص 163–131).

و يمكن في هذا الاتجاه ايضا تقديم دراسة Clifford Geertz عن الاسلام ملاحظا في اندونيسيا و المغرب (1968) ، و ايضا دراسة Dale Eickelman (1976) عن الاسلام المغربي كنموذجين لهذا التصور. فقد سعى هذان الباحثان الى الكشف عن قدرة ظاهرة الزوايا على التغير و ايضا عن مرونتها في التأقلم مع مختلف الظروف، و توصلا الى نتيجة مفادها ان الاسلام كدين لا يشتغل بطريقة موحدة في المجتمعات التي يحدث فيها ، و انما هناك تكييفات عميقة و دائمة تنتج من خلال الاتصال مع الواقع و مع الثقافات التي يتلاقى معها (محمد ابراهيم الصالحي: 2010،ص.ص. 33–30).

III. مقاربات و ملاحظات:

في خضم حديثه عن تأسيس خطاب أنثروبولوجي مستقل و محلي ، رأى عبد اللّه حمودي ان الامر « يتعلق بمجهود يرمي إلى تأسيس خطاب أنثروبولوجي نابع من التراث المعرفي لمنطقتي المغرب و المشرق . و كنت (...) إلى الانتقادات الشديدة و المتواترة التي طاولت الموروث الكولونيالي ، و إلى الأصوات التي نادت بإتيان البديل أو بالتخلي تمامًا عن الأنثروبولوجيا. و لكن البديل هو وضع الأسس لخطاب متميز لم يتحقق بعد .و بحسب علمي ، لم تتعد آخر المحاولات استبدال خطاب غربي قديم بخطاب غربي متجدد» (عبد اللّه حمودي: 2017، ص.12).

يلخص هذا الاستنتاج وضعية دراسة الزاوية ايضا في الأنثروبولوجيا السياسية المغاربية. فعلى الرغم من غزارة الاعمال الوطنية و المحلية ، إلا ان الأنثروبولوجيا الكولونيالية و حتى ما نسميها بالخارجية بعد الاستقلال ظلت سباقة بنظرياتها و مفاهيمها و حتى اشكالياتها لتصنع المشهد الأنثروبولوجي المحلي و تسيطر عليه ، و يظهر ذلك عموما من خلال سيطرة الثنائيات الاتية.

1. الاستاتيكا و الديناميكا.

تشكل الاستاتيكا و الديناميكا احد الجوانب المهمة التي ركزت عليها على المقاربات التي اهتمت بالدور السياسي للزاوية . فمن ناحية الاستاتيكا ، بحثت المقاربة البنيوية الوظيفية عن عوامل الاستقرار و الثبات في ظل نظام يتميز بالانقسام و الصراع بين عناصره و توصلت – الى جانب مبدأ الانصهار و الانشطار– الى ذلك الدور الذي يلعبه رجال

الدين و بالأخص شيوخ الزوايا في تحقيق الاستقرار و الاستمرارية من خلال القيام بعدة وظائف اهمها الوساطة و التحكيم التي يقومون بها في النظام السياسي.

في نفس السياق ، استغلت المقاربة الثقافية العلاقات التربوية بين الشيخ و المريد من اجل تفسير اسباب استمرار و اعادة انتاج العديد من الممارسات و السلوكيات السلطوية على الرغم من التغيرات السياسية و تبني اليات و مؤسسات حديثة في الحكم .ايضا ، عدلت اطروحة الاندماج من الطابع البنيوي الذي ميز الزاوية في المجتمع و اضافت لها بعدا تاريخيا لمعرفة الميكانيزمات التي تقف وراء الاتصال بين المركز و الاطراف ، و توصلت –من خلال تتبع تاريخ الزوايا و وضعها البنيوي في المجتمع – الى الكشف عن صيرورة الدمج و الاحتواء التي مارستها السلطات المركزية عبر التاريخ على الاطراف.

اما من الناحية الدينامية ، اهتمت المقاربة الاستراتيجية بدينامية الزاوية من خلال التركيز على الخصوصيات التي تميز وضعها في النسق السياسي المغاربي. فقد تحولت هذه الاخيرة الى فاعل سياسي بامتياز من خلال استثمار راس مالها الرمزي الذي تحظى به في المجتمع. لقد مثلت هذه المقاربة بامتياز الصورة الدينامية التي تتميز بها الزاوية في النظام السياسي ، و ذلك عندما تتحول الى مفاوض يسعى الى توسيع هامش سلطته باستغلال الظروف و المعطيات التي يمر بها المركز و الاطراف.

في الاخير ، ركزت المقاربة التأويلية على تلك التعديلات التي تعرض الاسلام كدين ، حيث توصلت الى ان الاسلام لا يشتغل بطريقة موحدة في المجتمعات التي يوجد فيها ، و انما يكيف على حسب الحس المشترك السائد من خلال الاتصال مع الثقافات التي يتلاقى معها.

2. التفسير و التأويل.

يتأرجح التوجه العام المنهجي للمقاربات السابقة الذكر ايضا بين سيطرة التفسير او التأويل او الدمج بينهما في مقاربة الدور السياسي للزاوية. من ناحية التفسير ، اعتبرت المقاربة البنيوية– الوظيفية الزاوية «كشيء اجتماعي» objet social ، و حاولت تفسير ادورها في النسق السياسي بشكل مستقل عن السياق التاريخي الذي تطورت فيه. اما البنيوية– التاريخية ، فقد حافظت على الطبيعة البنيوية للزاوية في المجتمع و كذا ادوارها المختلفة ، و لكنها اعادت الاعتبار الى دور التاريخ في تفسير بعض الجوانب السياسية للزوايا.

بالنسبة للتأويل ، سعت المقاربة الاستراتيجية الى رصد المعنى الكامن وراء التمسك بإسلام الزاوية المتجسد في شخص الولي الصالح ، و هذا على الرغم من التحولات التي طرأت على الحقل الديني المغاربي. و قد توصلت الى نتيجة مفادها ان المجتمعات الإسلامية ليست مشكلة تشكيلا متجانساً يوجد فيه أسلوبا دينيا شائعا بصورة متماثلة و شاملة ، فحقائقها و تغيراتها أكثر تعقيدا ، و هنا «شكلت الزاوية بالنسبة للشعب –خاصة في الارياف و الجبال– الطريق الوحيد للوصول الى اللّه ، فهم لم يستطيعوا فهم اسلام فقهاء الحواضر لانهم كانوا اميين او المحافظة عليه لانهم كانوا فقراء. و بصورة عامة ، هياء الاسلام الصوفي الاتصال بين الاسلام الارثودكسي

، الموحد على الصعيد العالمي ، و الواقع المحلي المتنوع بشدة ، و نضيف ان العالمية كانت موضع تفكير النخبة العالمة ، بينما الواقع المحلي المعاش من قبل الجماهير العريضة كان محل تفكير و اهتمام الزوايا الطرقية» (Mohamed Hédi Chérif : 1980' p.548)

في المقابل ، حاولت المقاربة الثقافية المتجسدة في اطروحة الشيخ و المريد الجمع بين التفسير و التأويل. فهي من جهة ، تفسر اسباب انتشار السلطوية في المجتمعات المغاربية و العربية من خلال سيطرة بنية الشيخ و المريد على العلاقات السياسية بين الحاكم و المحكوم. و من جهة اخرى ، تستعمل تأويل الرموز و المعاني التي تفرزها هذه العلاقة و تدمجها ضمن منظور ثقافي تأويلي.

3. التحليل الكلي و الجزئي تكريس لجدلية الامبريقي و النظري.

انعكس تبني النظرة التفسيرية او التأويلية لوضعية الزاوية على مستوى التحليل فيما اذا كان كلي او جزئي ، و ادى ذلك بدوره الى بروز جدلية الامبريقي و النظري التي طالما شغلت اهتمام الباحثين في العلوم الاجتماعية. فقد دخل Gellner الى الميدان – الاطلس الكبير– بتصورات و مفاهيم جاهزة استقاها من النموذج النظري الانقسامي ، و قد ادى تبني هذه الطريقة الى اسقاط نظرية جاهزة مسبقة و بانورامية عن وضعية الزاوية داخل النسق السياسي الانقسامي ، و تجاهل تلك الخصوصيات التي تميز المجتمع موضع الدراسة. يحدث هذا على الرغم من كل الاحتياطات التي قدمها Gellner عند اختياره لحالات الدراسة الميدانية التي قام بها في منطقة الاطلس الكبير. [5]

يمكن ملاحظة نفس المسار عند البنيوية التاريخية ، فقد انطلق عبد اللّه العروي مثلا من نظرية مسبقة تفترض الاندماج بين السلطة المركزية و الزاوية ، و حاول من خلال البحث في التاريخ المغربي ايجاد الحالات التي تثبت ذلك. و من جهته، افترض Robert Montagne صيرورة التطور و المخزنة التدريجية التي عرفتها القبائل و الزوايا في دراسته حول قبائل البربر في جنوب المغرب (محمد ضريف: 1992، ص.ص.77-76).

عكس ذلك ، قدمت المقاربة التأويلية نماذج مصغرة Miniaturiste تتضمن اجابة عن اسئلة حول بعض التصرفات و الافعال انطلاقا من حالات ملموسة ، اي انطلاقا من ارضية امبريقية معينة. و لعل الطريقة (خاصة الوصف المكثف لعدد محدود جدا من الحالات الامبريقية الملموسة) التي اعتمدها Clifford Geertz في دراسته حول الاسلام ملاحظا (1968 دراسة مقارنة بين اندونيسيا و المغرب) تعتبر افضل مثال عن ذلك.

لكن ما يلاحظ على Geertz أنه سحب هذه الحالة على كل النسق الديني المغاربي ، حيث لم يميز مثلا بين اسلام الحضر و اسلام البوادي ، بل اعتبر ان كل من الحضر و البادية يعيشان ضمن نسق ديني ثقافي واحد و هو النمط الديني المرابطي الذي اصبح نظام اعتقادي يحدّد رؤى الكون و الحياة و يضبط السلوكيات الجمعية في شكل نسق تعبيري ثقافي محفوظ في رموز محمّلة بالمعاني.

4. التاريخ و البنية الاجتماعية :

يلاحظ ايضا على المقاربات السابقة الذكر مسالة الجمع او التفرقة بين البنية الاجتماعية و التاريخ الاجتماعي. و يعود ذلك اساسا الى تبني النظرة الاستاتيكية او الديناميكية لحالة الزاوية في الانساق السياسية المغاربية ، حيث يعزز التركيز على البنية الاجتماعية حالة الثبات و الجمود التي تميز النسق السياسي ، بينما يؤدي ادخال التاريخ الاجتماعي في التحليل عنصر الدينامية و التغير.

تهمل المقاربة البنيوية الوظيفية التاريخ الاجتماعي في تحليل الزاوية و تركز على وضعيتها البنيوية الثابتة ضمن النسق الانقسامي للسلطة ، و هي بهذا تكرس الانقسام كمبدأ عام ميز كل مراحل التاريخ الاجتماعي المغاربي ، كما انها ترى ان تقفي التاريخ الصوفي لن يمكن من فهم الدور الذي يقوم به الاولياء و الزوايا في المجتمعات المغاربية ، بل يجب فهم الدور الذي يقوم به الاولياء و ما يكتسبه من دلالة في سياقه الخاص. في نفس السياق ، تذهب المقاربة الثقافية لنموذج الشيخ و المريد الى تعزيز هذا الاتجاه اللاتاريخي ، حيث تسحب نموذج علاقة التبعية هذه و طقوسها على مجمل تاريخ العلاقة التي عرفتها السلطة المركزية و الاطراف في المجتمعات المغاربية و العربية عموما.

اما المقاربة البنيوية التاريخية فقد حافظت على الطابع البنيوي لعلاقة الزاوية بالأطراف و بالمركز ، و لكن اضافت اليها العديد من الخصوصيات و الحالات التاريخية التي خرجت منها الزاوية عن القاعدة المتعارف عليها في العلاقة بين المركز الاطراف ، و حاولت ان تسيطر فيها على السلطة السياسية، و لعل محاولة الزاوية الدلائية –التي تركزت في قبائل صنهاجة في المغرب– في السيطرة على السلطة المركزية في اواخر الدولة السعدية خير مثال على ذلك (محمد ضريف: 1992، ص.ص.96-94).

بالنسبة للمقاربة التأويلية و الاستراتيجية ، فقد اتخذت من المعرفة التاريخية كعنصر اساسي لتأكيد نظرتها الدينامية للزاوية. ففي دراسته حول الاسلام ملاحظا بالمجتمع المغربي، لم يتوقف Geertz عند حد جمع المعطيات الامبريقية عبر استعمال تقنية الوصف المكثف للفاعلين في الحقل الديني و السياسي المغربي ، و انما رجع الى التاريخ من خلال سرد قصة الولي اليوسي مع السلطان المولى إسماعيل و بين تطور العلاقة القائمة بين البركة الانتسابية و البركة الإعجازية، و كيف تفرض الثانية على الأولى الاعتراف بها و إضفاء الشرعية عليها (محمد ابراهيم الصالحي: 2010،ص. 36).

نفس العمل قام به Dale Eikelman عندما حاول تفكيك و إعادة تركيب المعتقدات الدينية التي تقبع خلف ما أسماه بـِ إيديولوجية الزوايا والصلحاء بالمغرب. ففي نظره ، تعتبر هذه الاخيرة أنساق معتقدات تم تشكيلها داخل المجتمع المغربي، و ارتبطت استمراريتها بصيرورة اجتماعية خاصة. و قد أعطت هذه المعتقدات صيغة للإسلام كانت ذات دلالة بالنسبة للقبائل و سكان المدن طيلة أربعة قرون، و لازالت هذه الصيغة ضرورية بالنسبة للبعض منه (عبد الغني منديب: 2006، ص.ص.67-63).

خاتمة:

حاولنا من خلال هذه المقالة تقديم نظرة نسبية عن حالة الزوايا في الأنثروبولوجيا السياسية المغاربية. ما يلاحظ في البداية هو تشتت التراث المعرفي و النظري الذي تراكم حول الزوايا ، من دون وجود محاولات موحدة لجمعه و توحيده ، هذا اضافة الى سيطرة التوجهات و النظريات الخارجية التي بدأت اثناء المرحلة الاستعمارية و اكتملت بعد الاستقلال .

يحدث هذا على الرغم من ظهور بعض الاعمال و الدراسات المحلية المهمة التي حاولت ان تخلق نظرة مغايرة او توفيقية . لكن ما يلاحظ عليها انها لم تفلح كثيرا في تجاوز الانساق المعرفية التي خلفتها الأنثروبولوجيا الاجنبية ، نظرا لافتقارها الى الادوات النظرية و المنهجية و كذا العمق المؤسساتي (الابستيمولوجي في الاساس) الذي تميزت به العلوم الاجتماعية الحديثة التي تطورت في البلدان الغربية.

ان هذا الاستنتاج يحيلنا الى مسالة اكبر و اعمق تمس الوضعية المعرفية العامة للعلوم الاجتماعية المغاربية ، حيث لا تزال هذه البلدان تتأرجح من جهة بين ضرورة تأسيس علوم اجتماعية نابعة من عمق هذه المجتمعات و بيد باحثين محليين ، و من جهة اخرى فهي تفتقر الى تلك الوسائل العلمية التي توفرها الخبرة الاجنبية التي لا تزال تلقي بظلالها على المنطقة .

الاحالات:

(1) نذكر من بيم هذه الدراسات : العمل الذي قام به Michaux-Bellaire' Edouard حول الزوايا الدينية بالمغرب (1927) ، Octave Depont et Xavier Coppolani حول الزوايا الدينية الاسلامية في الجزائر (1898) ، Edmond Doutté ملاحظات حول الاسلام المغاربي : الاضرحة (1899) .

(2) مثلا : Robert Montagne البربر و المخزن في جنوب المغرب (1930)، Evans Pritchard الحركة السنوسية في برقة الليبية (1949) ، Jacques Berque البنيات الاجتماعية للأطلس الكبير (1955) Pierre Bourdie سوسيولوجيا الجزائر (1958).

(3) مجتمع اللادولة او ما يطلق عليه في الأنثروبولوجيا الانجلوساكسونية مجتمعات بلا راس Société acéphale ، هو غياب سلطة مركزية قارة و مستمرة في التنظيم الاجتماعي القبلي ، و قد برز هذا المفهوم في ظل النظرية الانقسامية التي لاقت رواجا كبيرا في المجتمعات المغاربية ، خاصة خلال الحقبة الاستعمارية.

(4) تبلور الاتجاه الانقسامي قبل Gellner على يد العديد من الباحثين، فقد وصف E.Durkheim مجتمع القبائل الجزائرية بالانقسامي في عمله حول تقسيم العمل الاجتماعي (1893) ، و هو نفس الشيء الذي لاحظه كل من Adolphe Hanoteau و Aristide Horace Letourneux في عملهما حول القبائل و الاعراف القبائلية (1892) ، و ايضا Evans Pritchards حول الحركة السنوسية في برقة (1949). ما يؤخذ على هذا الاتجاه انه ارتبط بالحركة الاستعمارية التي شملت العديد من المجتمعات التي كانت تفتقر الى مؤسسات حكم حديثة او ما يسمى بالدولة الحديثة.

(5) لم يختر Gellner تطبيق المقاربة الانقسامية لدراسته الحنصاليين في الاطلس العالي بسبب انها كانت تشكل اخر صيحة نظرية مطبقة في ذلك الوقت لدراسة المجتمعات التقليدية ، و انما لخصائص تميزت بها المنطقة نفسها انظر :

Hugh Roberts (2003)' Gellner et la ségmentarité au Maghreb à propos de l'analyse des champs politiques Maghrébins' in : Lahouari Addi' l'anthropologie du Maghreb selon Berque ' Bourdieu ' Geertz et Gellner ' actes du colloque de Lyon 21–23 septembre 2001' Awal Ibis Press' Paris' p.44

المراجع:

1/باللغة العربية:

ارنست كيلنر (2007) ، «السلطة السياسية و الوظيفة الدينية في البوادي المغربية» ، في : مؤلف جماعي ، الانثربولوجيا و التاريخ : حالة المغرب العربي ، ط2، ترجمة: عبد الاحد السبتي و عبد اللطيف الفلق ، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء .

امل بوبكير (2012) ، « التصوف و الحداثة في دول المغرب العربي» ، في: المسبار ، العدد 64.

جورج بالانديه (2007)، الأنثروبولوجيا السياسية، ترجمة: علي المصري، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت.

رحمة بورقية (1991)، الدولة و السلطة و المجتمع دراسة في الثابت و المتحول بقبائل زمور، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت.

سردوك رشيدة (2016)، علاقة السلطة الجزائرية بالمؤسسة الدينية دراسة سوسيولوجية لعلاقة الديني بالسياسي في الجزائر الزاوية البلقايدية بوهران نموذجا، اطروحة دكتوراه منشورة في الموقع الالكتروني: http://dspace.univ-mascara.dz:8080/jspui/handle/123456789/119 ، اطلع عليه يوم 17 افريل 2017 ، 10:00 صباحا.

عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون (2004)، مقدمة ابن خلدون، ج1، تحقيق: عبد اللّه محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق.

عبد الغني منديب (2006)، الدين و المجتمع دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب، افريقيا الشرق، الدار البيضاء.

عبد اللّه حمودي (2010) ، الشيخ و المريد النسق الثقافي للسلطة في المجتمعات الحديثة ،ط 4، ترجمة : عبد المجيد جحفة ، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء.

عبد الله حمودي (2017) ، «الداخلي و الخارجي في التنظير للظاهرة القبلية : خطوة في طريق تأسيس خطاب أنثروبولوجي مستقل» ، ترجمة : المولودي الاحمر، في: مجلة عمران للعلوم الاجتماعية ، ع 19.

ليليا بنسالم ، «التحليل الانقسامي لمجتمعات المغرب الكبير : حصيلة و تقييم» ، في: مؤلف جماعي ، الانثربولوجيا و التاريخ : حالة المغرب العربي، ط2، ترجمة: عبد الاحد السبتي و عبد اللطيف الفلق ، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء

محمد ابراهيم الصالحي (2014)، «الأنثروبولوجيا الدينية في الجزائر عناصر من اجل حوصلة المعارف»، ترجمة: عبد الله عباس، في: ساري حنفي، نورية بن غبريط رمعون، مجاهدي مصطفى، مستقبل العلوم الاجتماعية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

محمد براهيم صالحي (2010) ، « الدين بوصفه شبكة دلالية : مقاربة كليفورد غيرتز» ، ترجمة: مصطفى مرضي، في: مجلة انسانيات ، عدد متنوع ، ع50 .

محمد جحاح (2001) ، الزوايا المجتمع و السلطة بالمغرب مقاربة سوسيو–انثربولوجية ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاداب فاس ، المغرب.

محمد حجي (1964) ، الزاوية الدلائية و دورها الديني و العلمي و السياسي، المطبعة الوطنية الرباط .

محمد ضريف (1992) ، مؤسسة الزاوية في المغرب ، منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي ، المغرب.

نور الدين الزاهي (2011) ، الزاوية و الحزب الاسلام و السياسة في المجتمع المغربي ، افريقيا الشرق، الدار البيضاء.

2/باللغة الاجنبية:

Abdallah Laroui (1977)' Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain 1830–1912' Centre culturel arabe' Casablanca.

Ahmed Ben Naoum (2000)' « présentation d'un numéro de revue m sacré et politique »' in : Insaniyat' n°11.

Hugh Roberts (2003)' « Gellner et la ségmentarité au Maghreb à propos de l'analyse des champs politiques Maghrébins »' in : Lahouari Addi' l'anthropologie du Maghreb selon Berque' Bourdieu' Geertz et Gellner ' actes du colloque de Lyon 21–23 septembre 2001' Awal Ibis Press' Paris.

Lahouari Addi (2003)' Les enjeux théoriques de l'anthropologie du Maghreb : lécture de Bourdieu' Geertz' Gellner et Berque' in : Lahouari

Addi' l'anthropologie du Maghreb selon Berque' Bourdieu' Geertz et Gellner ' actes du colloque de Lyon 21–23 septembre 2001' Awal Ibis Press' Paris.

Lahouari Addi (2003)' « Pierre Bourdieu revisité : la notion de capital social »' in : Lahouari Addi' l'anthropologie du Maghreb selon Berque' Bourdieu' Geertz et Gellner ' actes du colloque de Lyon 21–23 septembre 2001' Awal Ibis Press' Paris

Mohamed Hédi Chérif (1980)' « Hommes de religion et pouvoir dans la Tunisie de l'époque moderne »' in : Annales. Économies' Sociétés' Civilisations. 35 année' n°3–4.

Mohamed Ibrahim Salhi (2000)' « Eléments pour une réflexion sur les styles religieux dans l'Algérie d'aujourd'hui »' in : Insaniyat' n°11.

Sossie Andezian (2001)' expériences du divin dans l'Algérie contemporaine : Adeptes saints de la région de Tlemcen' CNRS Edition' Paris.

Zekeria Ould Ahmed Salem (2003)' « une segmentarité d'Etat ? Tribus et politique en Mauritanie à partir de l'approche de Gellner »' in : Lahouari Addi' l'anthropologie du Maghreb selon Berque' Bourdieu' Geertz et Gellner' actes du colloque de Lyon 21–23 septembre 2001' Awal Ibis Press' Paris